الأهرام

المصدر : المدينة
التاريخ : ٣ جمادى الاول ١٤٠١ هـ

المركز الاسلامى بولاية ايوا .. يقدم لك هذا البحث ؛

الدولة الإسلامية في القرآن الكريم

بقلم/ الدكتور ت . ب . ايرفيتخ
من جامعة تينيسى كنوكسفيل

كان بامكان الانسانية ان تشكل جماعة واحدة ، امة واحدة تستبق الخيرات ، ولكن الله ارادها غير ذلك ، يقول تعالى « انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (السورة ٤٩ - الاية ١٣). وتسرد ضمنيا فلسفة التاريخ ومصير الامم فى اية اخرى ، يقول تعالى ؛ « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما اتاكم فاستبقوا الخيرات » (السورة ٥ ، الاية ٤٨ انظر كذلك السورة ١١ ، الاية ١١٨ - ٢٩ : ١٨ و ٤٢ : ٨)

ويمكننا ان نستخلص ان التنافس الدولى طبيعى ، رغم اننا تلقينا تحذيرا ؛ « يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم » (السورة ٤٩ - الاية ١١). كما نجد كذلك اساسا للطائفية فى قوله تعالى ؛ « من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » (السورة ٦ ، الاية ١٥٩ ؛) ان تنوع المجتمع الانسانى بارز بكل وضوح ؛ فاختلاف الجنس واللغة واللون يوجد عند كل الناس لكى يتمكنوا بالنهاية من بلوغ التآلف بدلا من التماثل (السورة ٣٥ ، الاية ٢٨).

ان الامم تواجه مصيرها ، تماما مثل الافراد الذين لديهم حد عليهم ان يواجهوه ، يقول تعالى ؛ « فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون » (السورة ٧ الاية ٦٩ : انظر كذلك السورة ٦٣ ، الاية - ٨ ان مسؤولية المسلم واضحة ؛ وتفرض كيفية التصرف فى المجتمع ضوابط ثقافية وتربية يبدو ان الغرب اصبح بصدد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

فقدها الآن . لقد كانت حقوق الفرد محمية فى ظل الاسلام النقى .

كانت شبه الجزيرة العربية واسعة جدا ، وكانت التجربة المسيطرة فى الحضارة العربية ، تجربة العرب الرحل ، كما وصفتها السورة ١٦ ، الآية ٨٠ ، بخيامهم المنسوجة من الصوف التى تبلور حركية البدو الاوائل الذين كانوا فى حاجة الى هذه الحركية لمقاومة جفاف شبه جزيرتهم . لقد كان العرب ينعمون بحرية كبيرة على ظهور جملهم وخيلهم ؛ وكانت قصائدهم تشير الى اسماء اماكن منتشرة على كامل وجه الخريطة . وقد هيا تهم هذه التنقلات للانفتاح على تجارب اخرى .

فى الجزيرة العربية ، كانت القبيلة او العشيرة اهم بكثير ، من اجل البقاء ، من العائلة الابوية البسيطة المتعلقة بالزراعة القروية الحضرية التى يعترضها عامة المتجولين فى الهلال الخصيب الحالى . كانت الاعمال والتجارة تزدهر فى مدن مثل مكة .

وكان للامطار واستهلاك المياه اهمية فى ذلك المجتمع كما يبينه حكم صالح عليه السلام لناقته (السورة ٢٦ ، الآية ١٥٥) : « قال هذه ناقة لها شرب ، ولكم شرب يوم معلوم ». وتظهر عادات قديمة : المنادى ينادى (السورة ٣ ، الآية ١٩٣ والسورة طظ الآية ٠(- وهى وظائف اهملت فيما بعد فى اسبانيا . وفى حالة سرقة ، تقطع يد السارق للعبرة لانه لم يكن هناك سجون فى الجزيرة العربية

وكانت تلك المجتمعات تختلف قليلا فيما بينها ، وكانت وحدها الدول الحدودية للخميين فى الحيرة بالعراق ودولة الغساسنة فى الاردن الحالية ، زبائن لامبراطوريات اخرى . وفيما بعد انبعث احيانا اقاليم اسلامية جديدة النموذج الفارسى للملكية المطلقة والذى بعث حديثا فى ظروف مؤسفة ان فرعون هو اكبر طاغية « متفطرس » فى القرآن ؛ فهو رمز الظلم السياسى وعوقب على غطرسته بالغرق (السورة ٢ الآية ٥٠).

تترجم كلمة قوم عامة ب « شعب » لتمييزها عن كلمة اهل التى تعنى « سكان ». كان هذا « الشعب » بالمعنى السطحى ، اولئك الذين « يقومون » الى جانبكم لحماية مصالحكم المشتركة ، من جذر (ق و م).

وتعود كلمة اهل او « عائلة » او « سكان » الى الذين يعيشون فى نفس مجموعة الخيام ، وظهرت لفظة شعب العصرية الانيقة فقط فى صيغة الجمع شعوب فى المناشيد الاشتراكية الحالية (السورة ٤٩ ، الآية ١٣). وتعنى الامة الاسلامية « الجماعة » او « الدولة » فى غايتها ، مطورة للمرحلة المدنية (نسبة للمدينة المنورة) من العهد الاول للاسلام .

وكانت هذه الامة او « الجماعة » فى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

حاجة الى شكل من الهيكل الحكومى او العملياتى لان تنظيم امة متحضرة يعتبر تحديا حقيقيا .

وقد بدأ النبى صلى الله عليه وسلم فى سن الاربعين عندما اعلن ، حينما بلغ اشده ، رسالته جهارا .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم يقود شعبة : كانت لديه شخصية قوية ونشطة تسيطر على الموقف . ان السورة ٩٦ (اقرأ !(كانت اساسية فى اقامة الدولة الكبيرة والمتعلمة . ويمكن ان نستعمل كلمة امة أو جماعة ، خلال اولى مراحل هذا النمو .

كانت الدبلوماسية مركز حياة محمد عليه الصلاة والسلام.. وكان ذلك عملا جسيما لا نزال نرى اليوم نتائجه على خارطة العالم : وفى المدينة المنورة صهر المسلمون هوية مشتركة واسسوا هكذا امة جديدة . وكانت ساحة المسجد الكبيرة بالمدينة ، تقوم فى نفس الوقت مقام مسكن الرسول عليه الصلاة والسلام ومكاتب رئيس الدولة . ويعكس القرآن حياة جماعية مكثفة فى المركز الجديد بيثرب القديمة . فقد تلقينا نظرة متنوعة عن المجتمع فى ذلك المكان والعهد البعيدين . ويمكننا الى الآن ملاحظتهما الى حد ما اثناء تجولنا فى شوارعها واسواقها . فالرسالة تبلغنا التزامات عملية ، تماما مثلما يقدم الينا الحديث او السنة النبوية معارف اشمل عن الدولة الاسلامية .

ان النشاط المبذول خلال عام الوفود الموالى للحديبية اكد ذلك النمو وتلك القوة ، وبين ان المدينة المنورة كانت حينئذ عاصمة الجزيرة العربية واصبح الاخذ بالثار عملا سيئا فى ظل الاسلام ، ولم تعد الحروب القبلية مسموحا بها وواصل تيار متواصل من الداخلين فى الاسلام يتوافد من مكة ومن كل مكان بعد معاهدة الحديبية ، فقد انبثقت الجزيرة العربية من الوضع القبلى الذى لم تكن فيه سجون ولا قوانين عامة (السورة ١٧ ، الآية ٣٣ (نحو سيطرة الغارات والسرقات (السورة ٥ ، الآية ٣٨ (. ومنذ ذلك الحين قلصت الحروب (الغارات (: وتحقق السلام فى المجتمع نتيجة الانصاف والعدالة الاسلامية .

واوجد الدين الجماعة الاسلامية الجديدة بفضل النظرة النبوية المطبقة على الاوضاع فى مدن مكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة . وكان المركب الحضرى المتطور بحاجة الى قواعد اوسع وقوانين لادارته . والتى وجدت فى القرآن وفى المواعظ النبوية التى اصبحت السنة . وقد تم ذلك لانه ، بعد اختفاء الحروب بين القبائل العربية (ولو لفترة من الزمن (، جعل تلاحم الشعب العربى الناجم عن ذلك ، جعل جيوشهم الجديدة لا تقهر من قبل الامبراطوريات المقاتلة والمتدهورة للروم او البيزنطيين .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية